

إقرار القرآن الكريم بمنهج الوسطية

Acknowledgment of the Holy Qur'an On the Moderation Method

Emaad Mahmood Mahmood Abdelkarem¹

¹Al-Azhar University, Cairo, Egypt
el-karim1972@gmail.com

Abstract - The word (وسط) appears in the Qur'an in several places, with its multiple conjugations, as it appears as Wasta, Wasta, Wusta, Wusta, and Wasta. The best beginning to clarify the Qur'anic approach in deciding moderation is to stand with the Al-Fatihah, as she, from beginning to end, establishes and confirms this fact. But the most prominent verse in it that speaks of this is the Almighty's saying: (Guide us to the straight path) (Al-Fatihah: 6) and this verse is explicit in defining the middle method, because it is clear that this path is the path of those whom God has blessed. Al-Tabari said: All the scholars of interpretation have agreed that the straight path is the clear path that does not distort it. God has made it clear to us that the straight path is the middle path. And then righteousness means moderation, as illustrated by the verse of Al-Fatihah. There are several verses that call for righteousness in multiple ways and close words, and it revolves between the predicate and the creation. From this point of view, and after it was decided that the path of righteousness is the path of the middle nation, every verse mentioned in righteousness is a sign in achieving moderation and calling for it. In summary: when looking at any matter to determine its relationship to moderation and how close or far from it it is necessary to carefully consider the reality of this matter without limiting it to its appearance only, then to which of these foundations is closer, taking into account several matters and all of them are based on the rules legitimacy and methodological controls. If it becomes clear that it is close to the straight path, it is within the moderation.

Keywords: Acknowledgment, Method, Moderation, Straightforwardness, The Path

المخلص - وردت كلمة (وسط) في القرآن في عدة مواضع، وذلك بتصاريدها المتعددة، حيث وردت بلفظ وَسْطًا وَالْوُسْطَى وَأَوْسَطَ وَأَوْسَطُهُمْ وَفَوْسَطُنَ. إن خير بداية لبيان المنهج القرآني في تقرير الوسطية هو الوقوف مع أم الكتاب، حيث إنها من أولها إلى آخرها تقرّر هذه الحقيقة وتؤكدّها. ولكن أبرز آية فيها ناطقة بذلك هي قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) وهذه الآية صريحة في تحديد المنهج الوسط، ذلك أنّه بيّن أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم. قال الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أنّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وقد بيّن الله لنا أن الصراط المستقيم هو منهج الوسط. ومن ثم الاستقامة تعني الوسطية كما توضّحها آية الفاتحة، جاءت الآيات متعدّدة تدعو إلى الاستقامة بأساليب متعدّدة وألفاظ متقاربة، وهي تدور بين الخبر والإنشاء. ومن هذا المنطلق، وبعد أن تقرّر أن طريق الاستقامة هو طريق الأمة الوسط، فإن كل آية وردت في الاستقامة فهي آية في تحقيق الوسطية والدعوة إليها. وخلاصة الأمر: أنّه يجب عند النظر في أيّ أمر من الأمور لتحديد علاقته بالوسطية ومدى قربه أو بعده منها دقّة النظر والاعتبار في حقيقة هذا الأمر دون الاقتصار على ظاهره فقط، ثم إلى أيّ هذه الأسس هو أقرب، مراعيًا في ذلك أمور عدّة وكلّها تنطلق من القواعد الشرعية والضوابط المنهجية، فإذا اتّضح قربه في حقيقته ومآله إلى الصراط المستقيم فهو داخل في الوسطية.

الكلمات المفتاحية: إقرار، منهج، الوسطية، الإستقامة، الصراط

١. تمهيد

نزل القرآن الكريم هدايةً للناس ونوراً، يُخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية عين الهداية، وحقيقتها، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضةً ترسم منهج الوسطية وتدلّ عليه.

والناظر في كتاب الله لا يتلو بضع آيات إلا ويجد فيها ذلك صراحةً أو إيماءً. ولذلك فإن الذين حصروا الحديث عن الوسطية في الآيات التي جاء فيها لفظ (الوسط) أو ما اشتق منه، قصرُوا الكل على بعض أجزائه، وإلا فإن بعض الآيات التي لم يرد فيها لفظ الوسط جاءت أقوى دلالة على الوسطية من آيات ورد فيها هذا اللفظ. وبياناً لهذه الحقيقة وتجليه لها، سنعيش مع كتاب الله متأمّلين بعض ما ورد فيه، تقريراً لهذا المنهج وتأميلاً له.

٢. استعمال كلمة "وسط" في القرآن الكريم

وردت كلمة (وسط) في القرآن في عدّة مواضع، وذلك بتصاريدها المتعدّدة، حيث وردت بلفظ: (وَسَطًا) (البقرة: 143) و (الْوُسْطَى) (البقرة: 238) و (أَوْسَطَ) (المائدة: 89) و (أَوْسَطُهُمْ) (القلم: 28) و (فَوْسَطُنَ) (العاديات: 5). (التحرير والتنوير: 2/ 171).

وسأذكر معنى كل كلمة حسب ورودها في القرآن الكريم، وكلام المفسرين حولها.

أولاً: كلمة "وسطاً":

وردت في قوله تعالى في سورة البقرة: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143). قال الإمام الطبري: وأما الوسط فإنه في كلام العرب: الخيار، يُقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرّفعة في حسبه.

والوسط: العدل، قاله ابن عباس وأبو سعيد ومجاهد وقتادة. وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل والخيار، ومنه قوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) (القلم: 28). أي: أعدلهم وخيرهم.

ثانياً: كلمة "الوسطى"

وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى في سورة البقرة: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة: 238)

والوسطى: الفعل من قول القائل: وسطت القوم أسطهم سطة ووسطاً، إذا دخلت وسطهم. ويقال للذكر فيه: هو أوسطنا، وللأنثى: هي وسطانا (الطبري: 568/2). وقال القاسمي في تفسيره: و"الصلاة الوسطى" أي: الوسطى بين الصلوات، بمعنى المتوسطة، أو الفضلى منها، من قولهم للأفضل: الأوسط.

ثالثاً: كلمة (أوسط)

وقد وردت هذه الكلمة في آيتين: الأولى في قوله تعالى: (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) (المائدة: 89). والثانية في سورة القلم في قوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) (القلم: 28). وقد ذكر المفسرون معنى كل كلمة في موضعها، فمنهم من جعل معناهما واحداً، ومنهم من فرق بين مدلوليهما، ثم عَقَّب الطبري على ذلك بقوله: وأولى الأقوال عندنا قول من قال: من أوسط ما تُطعمون أهليكم في القلة والكثرة (الطبري: 16/7-22). رابعاً: كلمة (فوسطن) .

وردت في قوله تعالى: (فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعاً) (العاديات: 5) وذلك في سورة العاديات، الآية الخامسة. وقد ذكر المفسرون أنَّ معناها من التوسط في المكان. قال المفسرون: المعنى: توسَّطن جمعاً من العدو.

٣. وقفة مع سورة الفاتحة

وسأفتتح الحديث عن تقرير القرآن لمنهج الوسطية بوقفة مع سورة الفاتحة، في ضوء ما ورد فيها عن هذا المنهج. أجد خير بداية لبيان المنهج القرآني في تقرير الوسطية أن أقف مع أم الكتاب، حيث إنها من أولها إلى آخرها تقرّر هذه الحقيقة وتؤكدّها. ولكن أبرز آية فيها ناطقة بذلك هي قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6). وما بعدها.

وهذه الآية صريحة في تحديد المنهج الوسط، ذلك أنّه بيّن أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم. قال الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أنّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. قال ابن عباس: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) يقول: ألهنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له.

ثم قال: وكلّ حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضالٌّ عند العرب، لإضلاله وجه الطريق. وقد بيّن الله لنا أن الصراط المستقيم هو منهج الوسط، حيث قال واصفاً الصراط المستقيم: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: 7) ومنهج المغضوب عليهم يمثل التقريط، بينما يمثل منهج الضالين الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء.

قال ابن كثير (29/1): غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق.

وبهذا يتّضح لنا أن هناك ثلاثة سبل: سبيل الذين أنعم الله عليهم، وسبيل المغضوب عليهم، وسبيل الضالين.

ونحن مأمورون بالالتزام بسبيل الذين أنعم الله عليهم، لأنه هو الصراط المستقيم، وهو المنهج الوسط بين طريقين منحرفين، وهما طريقا اليهود والنصارى، وكل طريق منحرف عن منهج الصراط المستقيم فله حظ. من أحد هذين السبيلين.

ولأن الاستقامة تعني الوسطية كما توضّحها آية الفاتحة، وكما حرّرت ذلك في مبحث سابق، جاءت الآيات متعدّدة تدعو إلى الاستقامة بأساليب متعدّدة وألفاظ مُتقاربة، وهي تدور بين الخبر والإنشاء. ومن هذا المنطلق، وبعد أن تقرّر أن طريق الاستقامة هو طريق الأُمَّة الوسط، فإن كل آية وردت في الاستقامة فهي آية في تحقيق الوسطية والدعوة إليها.

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً أذكر بعضاً منها دلالة على المراد، وبياناً لهذا المنهج. قال سبحانه: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا) (هود: 121). وقال: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) (الشورى: 15).

وأجد في هاتين الآيتين ما يستحقّ التنبية عليه، ونحن بصدد الحديث عن الوسطية، وذلك أنّه قال في الآية الأولى: (وَلَا تَطْغَوْا) (هود: 121) بعد أن أمر بالاستقامة، والطغيان هو مجاوزة الحدّ (القرطبي: 107/9). وهو خروج عن منهج الوسطية إلى الانحراف عن السبيل.

وفي الآية الثانية: قال: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) (الشورى: 15) واتباع الهوى خروج عن الاستقامة، وانحراف عن منهج الوسط.

وتتواصل الآيات في هذا الشأن، ففي سورة البقرة: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: 142). وفي آل عمران: (وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران: 101). وفي الأنعام: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (الأنعام: 153). وفيها: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) (الأنعام: 161). وفي النحل: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النحل: 76). وفي الزخرف: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الزخرف: 43). وفي سورة الملك: (أَقَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الملك: 22).

إلى غير ذلك من الآيات، حيث إن كل واحدة منها دالة على أنّ الصراط المستقيم هو الطريق الذي أمرنا باتباعه واجتناب ما عداه، لأنه هو طريق الحق والعدل والوسط، وما عداه طريق الضلال والغواية والانحراف عن الصراط المستقيم، وهاهو الشيطان يعلن هذه الحقيقة قائلاً كما ذكر الله في سورة الأعراف: (فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: 16)،

وصدق الله العظيم. إذ يقول: (مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 39).

وكما بدأنا في آيات الدعوة للاستقامة نختم بها، قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الاحقاف: 13). وفي سورة الجن: (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن: 16). وفي التكوير: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) (التكوير: 27، 28).

وهذه الآية نصّ في أنّ القرآن كله دعوة للاستقامة والسير على المنهج الحقّ، قال القرطبي: (إِنْ هُوَ) (التكوير: 27) يعني القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (التكوير: 27) أي: موعظة وزجر. (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) (التكوير: 28) أي يتبع الحق ويقيم عليه. ومما سبق يتّضح لنا أن سورة الفاتحة وضعت القاعدة والمنطلق، ورسمت المنهج وحددت معالمه، ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقرّرة لذلك، وداعية إليه.

٤. الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم

مما تقدّم يتّضح أن معنى الصّراط المستقيم يدلّ على الوسطيّة في مفهومها الشرعي الاصطلاحيّ الذي سبق تقريره، وبخاصّة أن ما جعلته لازماً لمفهوم الوسطيّة وإطلاقها قد تحقّق في معنى الصّراط المستقيم، فالخيريّة والبيئيّة ظاهرتان في هذا الأمر.

ف نجد في سورة الفاتحة لمّا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6) عرفه فقال: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة: 7) ثم حدّده فقال: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: 7) فجعل الصّراط المستقيم طريق الخيار، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالّين.

وكذلك في سورة البقرة قال الله تعالى: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: 142) فقال بعدها مباشرة: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: 143) وقد تحدّث المفسّرون عن الكاف في هذه الآية، وذكر غير واحد أن (الكاف) للربط بين جعلهم أمةً وسطاً وهدايتهم للصّراط المستقيم (التحرير والتنوير: 15-1/2).

ونزيد الأمر وضوحاً في ذكر بعض الأحاديث التي وردت في ذلك:

فعن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي، فخطّ خطاً وخطّ خطين عن يمينه، وخطّ خطين عن يساره، ثم وضع يده على الخطّ الأوسط، فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ).

وذكر القرطبي في تفسيره، قال: في آداب النفوس حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان، أن رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد، في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) (الأنعام: 153) (فريد عبد القادر: 23).

وبالتأمل فيما سبق يتضح لنا ما يلي:

1- أن الصراط المستقيم: يمثل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها، وآيتا الفاتحة والبقرة حجة قاطعة في ذلك.

2- أن الوسطية تعني الخيرية، سواء أكانت خير الخيرين أو خيرا بين شرين أو خيرا بين أمرين متفاوتين، وقد سبق تفصيل ذلك.

3- أن المقياس لتحديد الخيرية هو الشرع، وليس هوى الناس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه، فإن مفهوم الوسطية عند كثير من الناس تعني التنازل أو التساهل بل والمداينة أحيانا، حيث يختارون الأمر بين الخير والشر وهو إلى الشر أقرب في حقيقته ومآله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

4- أن هناك عوامل كثيرة، وأصولا معتبرة تجب مراعاتها عند تحديد مفهوم الوسطية وتطبيقها على أمر من الأمور، حيث إن قصر النظر على أمر دون آخر يؤدي إلى خلاف ذلك ومجانبة للصواب.

وخلاصة الأمر: أنه يجب عند النظر في أي أمر من الأمور لتحديد علاقته بالوسطية ومدى قربه أو بعده منها دقة النظر والاعتبار في حقيقة هذا الأمر دون الاختصار على ظاهره فقط، ثم إلى أي هذه الأسس هو أقرب، مراعيًا في ذلك أمور عدة - كما أشرت في الفقرة السابقة - وكلها تنطلق من القواعد الشرعية والضوابط المنهجية، فإذا اتضح قربه في حقيقته ومآله إلى الصراط المستقيم فهو داخل في الوسطية التي نتحدث عنها، أما إذا كان إلى الغلو أو الجفاء أو الإفراط أو التفريط أقرب حقيقة ومآلا فليس من الوسطية في شيء، وإن حسبه الناس كذلك، وقد زلت في هذه المسألة عقول وأقدام.

وفي غير سورة الفاتحة، قد ورد لفظ (الصراط المستقيم)، في القرآن الكريم عشرات المرات، وجاء - أيضا - بلفظ (صراطاً مستقيماً) (النساء: 68) و (صراطك المستقيم) (الأعراف: 16) و (صراطى مستقيماً) (الأنعام: 153) ونحو ذلك.

وفي البقرة جاء قوله تعالى: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: 142). وجاء بعد هذه الآية مباشرة: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: 143). وسيأتي بيان العلاقة بين هاتين الآيتين. وعيسى، عليه السلام، في سورة آل عمران يقول لقومه: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (آل عمران: 51).

ونجد أن سورة الأنعام من أكثر السور التي ورد فيها الحديث عن الصراط المستقيم: (مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 39) (وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدِينَا هُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 87) (وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) (الأنعام: 126) (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (الأنعام: 153) (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 161) وفي سورة إبراهيم سمّاه صراط العزيز الحميد. (لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم: 1) وفي طه، وصفه بالسوي، فقال: (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) (طه: 135) وفي الحج أضافه للحميد فقال: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) (الحج: 24) وفي المؤمنون عرّفه دون وصف أو إضافة: (وَأِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) (المؤمنون: 74) وفي مريم يقول إبراهيم، عليه السلام، لأبيه: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (مريم: 43) ويقول الله في سورة الأنعام: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الأنعام: 153).

هذه بعض الآيات التي وردت في "الصراط" فما معناها؟

قال الطبري: في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: 6).

أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أنّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك في لغة جميع العرب.

وقال ابن عباس: قال جبريل لمحمد، (اهدنا الصراط المستقيم): يقول: ألهما الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له. وقال الطبري (75/1): وإنما وصفه الله بالاستقامة، لأنه صواب لا خطأ فيه. وقال: كل حائد عن قصد السبيل، وسالك غير المنهج القويم فضالّ عند العرب، لإضلاله وجه الطريق.

وقال ابن كثير (27/1): واختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله ورسوله.

وأعرض الآن بعض أقوال المفسرين الذين أشار إليهم ابن كثير - رحمه الله -.

فقد روى الطبري عن علي بن أبي طالب عن النبي، أنه قال: وذكر القرآن فقال: هو الصراط المستقيم.

وقال القاسمي في تفسير لهذه الآية في سورة الفاتحة: أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث له مهمّ نأثره عنه هنا لما فيه من الفوائد الجليّة، قال - رحمه الله تعالى - : ينبغي أن يُعلم أن الاختلاف الواقع من المفسّرين وغيرهم على وجهين:

أحدهما ليس فيه تضادّ وتناقض، بل يمكن أن يكون كل منهما حقّاً، وإنّما هو اختلاف تنوّع، أو اختلاف في الصّفات أو العبارات.

وعامّة الاختلاف الثابت عن مفسّري السّلف من الصحابة والتّابعين هو من هذا الباب. فالله سبحانه وتعالى إذا ذكر في القرآن اسماً مثل قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة:6) فكل من المفسّرين يعبّر عن الصّراط المستقيم بعبارة تدلّ بها على بعض صفاته، وكل ذلك حقّ، بمنزلة ما يُسمي الله ورسوله، وكتابه بأسماء، كل اسم منها يدلّ على صفة من صفاته. ومعلوم أنّ المسمّى هو واحد، وإن تنوّعت صفاته وتعدّدت أسماؤه وعباراته (تفسير القاسمي : 20/1). ثم قال في موضع آخر: فإنّ الصّراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا تفعل ما نهيت عنه، وهذا يحتاج في وقت إلى أن تعلم ما أمر به في ذلك الوقت، وما نهى عنه، وإلى أن يحصل لك إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة لترك المحذور، والصراط المستقيم قد فسّر بالقرآن، والإسلام، وطريق العبوديّة، وكل هذا حقّ، فهو موصوف بهذا وبغيره .

قال القاسمي: الصّراط المستقيم: أصله الطّريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ويُستعار لكل قول أو عمل يبلغ به صاحبه الغاية الحميدة، فالطّريق الواضح للحسّ، كالحقّ للعقل، في أنّه: إذا سير بهما أبلغا السّالك النّهاية الحسنی.

قال ابن عاشور: والصّراط في هذه الآية (آية الفاتحة) مستعار لمعنى الحقّ الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله؛ لأنّ ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه.

والمستقيم: اسم فاعل من استقام، مطاوع قوّمته فاستقام. والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً، وهو الجادّة، لأنّه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضلّ فيه سالكه، ولا يتردّد ولا يتحير.

والمستقيم هنا مستعار للحقّ البين الذي لا تُخالطه شبهة باطل، فهو كالطّريق الذي لا تتخلّله بنيات. ثم قال: والأظهر عندي أنّ المراد بالصّراط المستقيم: المعارف الصّالحات كلّها من اعتقاد وعمل. (تفسير التحرير والتنوير: 190/1).

هذه بعض أقوال المفسّرين في معنى الصّراط المستقيم، كما ورد في سورة الفاتحة.

وحيث وردت آيات كثيرة ذكر فيها الصراط المستقيم سبق ذكر بعضها، فإن معناها من هذا المعنى الذي سبق تقريره، ولبيان ذلك أذكر تفسير بعض هذه الآيات بإيجاز:

قال تعالى: (وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 87) قال مجاهد: وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه ربنا لأنبيائه، وأمر به عباده.

وفي قوله تعالى: (وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) (الأنعام: 126) قال الطبري (32/8): هو صراط ربك - يقول: طريق ربك، ودينه الذي ارتضاه لنفسه ديناً، وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه. وفي قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (الأنعام: 153) قال الطبري: هو صراطه، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، (مُسْتَقِيمًا) (الأنعام: 153) يعني قوياً لا اعوجاج به عن الحق.

وفي قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: 161) قال الطبري: يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوقفتي له.

وفي سورة الأعراف: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: 16) قال الطبري (134/8): يقول: لأجلسن لبني آدم صراطك المستقيم، يعني طريقك القويم، وذلك دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه. ونقل نحو ذلك عن مجاهد.

وفي قوله تعالى في سورة مريم: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (مريم: 43) قال الطبري: يقول: أبصرك هدي الطريق المستوي الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.

وفي قوله تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ) (المؤمنون: 74) قال الطبري: يقول عن محجة الطريق، وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. وبهذا يتضح أن معنى الصراط في جميع هذه الآيات معنى واحداً، وإن اختلفت العبارة والسياق

٥. الخاتمة

وفي الأخير أسرد بعض الخلاصة التي توصلت إليه من البحث وهي فيما يلي:
أولاً: وردت كلمة (وسط) في القرآن في عدّة مواضع، وذلك بتصاريدها المتعدّدة، حيث وردت بلفظ: (وَسَطًا) (البقرة: 143) و (الْوَسْطَى) (البقرة: 238) و (أَوْسَطَ) (المائدة: 89) و (أَوْسَطُهُمْ) (القلم: 28) و (فَوْسَطُنَ) (العاديات: 5).

ثانياً: الصِّراط المستقيم هو الطريق الذي أمرنا باتباعه واجتناب ما عداه، لأنّه هو طريق الحقّ والعدل والوسط، وما عداه طريق الضلال والغواية والانحراف عن الصِّراط المستقيم. ثالثاً: إنّ الصِّراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا تفعل ما نُهييت عنه، وهذا يحتاج في وقت إلى أن تعلم ما أمر به في ذلك الوقت، وما نُهي عنه، وإلى أن يحصل لك إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة لترك المحذور، والصراط المستقيم قد فسّر بالقرآن، والإسلام، وطريق العبوديّة، وكل هذا حقّ، فهو موصوف بهذا وبغيره.

قائمة المراجع:

- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، صفحة 174-175، جزء 76. بتصرّف.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، صفحة 29، جزء 92. بتصرّف.
- صالح الصيّني ، وسطية الإسلام، صفحة 12-13. بتصرّف.
- أنور الجندي ، عالمية الإسلام، القاهرة: دار المعارف ، صفحة 119-120. بتصرّف.
- إسحاق السعدي (2013)، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه (الطبعة 1)، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، صفحة 614-615، جزء 2. بتصرّف.
- عبدالرحمن الميداني (1996)، الوسطية في الاسلام (الطبعة الاولى)، لبنان: مؤسسة الريان، صفحة 10. بتصرّف.
- علي الصلابي (2001)، الوسطية في القرآن الكريم (الطبعة الاولى)، مصر: مكتبة التابعين، صفحة 197-198. بتصرّف.
- نجبة نبي (2012)، وسطية الإسلام في العبادات والعلاقات الاجتماعية، صفحة 10-17. بتصرّف.
- وهبة الزحيلي، وسطية الاسلام وسماحته، صفحة 6-7. بتصرّف.
- يوسف القرضاوي، فقه الوسطية الاسلامية والتجديد، صفحة 36. بتصرّف.
- مجموعة من المؤلفين (2015)، الوحي والعلوم في القرن الواحد العشرين (الطبعة الاولى)، ماليزيا: دار الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا للنشر، صفحة 277. بتصرّف.
- عصام راجح، الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، صفحة 27-29. بتصرّف.